مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 4 السنة:2020
ص: 57 - 81 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

التّداوليّة العرفانيّة قبل التّداوليّة، مدخل إلى التأسيس العرفاني.

Cognitive pragmatics prior to pragmatics: Introduction to Cognitive Establishment

د. صلاح الدّين يحي [*]

Salah eddineyahia

جامعة عبد الحفيظ بو الصوف–ميلة–الجزائر

University of Abdel Hafeez Boussouf- Mila- Algeria

Salahyahia299@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/04/15	تاريخ القبول:2020/09/09	تاريخ النشر: 2020/11/07

ملخص البحث

تمثّل التّداوليّة العرفانيّة Cognitive pragmatics حقلا علميا جديدا يقوم على تفسّير العمليّات الذّهنيّة في التّواصل؛ حيث تستمد أطروحات هذا الحقل العلميّ من التّحوّلات العرفانيّة المرتبطة بشكل رئيسي بالتّطوّرات الّتي أحدثتها مجموعة من العلوم العرفانيّة، والتّداوليّة العرفانيّة عبارة عن تداخل متكامل ومنسجم بين مجموعة من المناهج والنّظريّات والعلوم من بين هذه العلوم ما عرف باسم العلم العرفاني فرع جديد من علم النّفس العرفانيّ، ويأتي هذا البحث لتعرف على النّظريّات الأكثر تمثيلا لاتّجاه التّداوليّة العرفانيّة منها نظريّة المناسبة/الملاءمة ونظريّة الأفضيّة الذّهنيّة ونظريّة الاستعارات التّصوّريّة.

الكلمات المفاتيح : التّداوليّة العرفانيّة؛ نظريّة الملاءمة؛ نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة؛ نظريّة الاستعارات التّصوّريّة.

Abstract :

Cognitive pragmatics is a new science field based on interpretation of mental processes in communication. The theses of this scientific field are derived from cognitive transformations mainly linked to the developments brought about by a group of cognitive sciences and cognitive pragmatics. It is an integrated and harmonious overlap between a group of approaches , theories and sciences , some of these sciences is what is known as cognitive sciences a new branch of cognitive psychology. This research comes to know the most

[*] د. صلاح الدّين يحي، Salahyahia299@gmail.com

representative theories of the trend of cognitive pragmatics such as the relevance theory, mental prominence theory, and conceptual metaphors theory.

Keywords: Cognitive Pragmatics; Relevance Theory; Mental Prominence Theory; Conceptual Metaphors Theory.

مقدّمة:

تهدف التّداوليّة العرفانيّة إلى بيان كيفيّة كشف العمليّات الذّهنيّة في التّواصل وإلى بيان كيفيّة اشتغال القدرات الذّهنيّة في توجيه العمليّات الاستدلاليّة، وفي تحديد تأثير الحالات الذّهنيّة، وكشف عمليّة التّأويل الذّهني التّداوليّ، وكيفيّة اشتغال الذّهن البشري بتأويل الأقوال وقد استفادت التّداوليّة العرفانيّة من العلوم العرفانيّة، وأصبح للتّداوليّة وجهاتٌ جديدة تنبت من منابت العلم العرفانيّ ويمكن أن نميّز هذه النّظريّات باقترابها من اللّسانيّات العرفانيّة وموقعها في التّداوليّة العرفانيّة بتوجيه الدّراسات إلى نظريّة الملاءمة/المناسبة للباحثين دان سبربر وديردر ولسنWilsonDeirdreDan Sperber et"فإنّ أكثر النّظريّات تمثيلا لاتّجاه التّداوليّة العرفانيّة هي نظريّة المناسبة لسبربر وولسن (1986–1989) تقوم نظريّة المناسبة على فكرة بسيطة هي فكرة المردود، فالفكر البشري (العرفان) بالنسبة إلى سبربر وولسون هو جهاز موجّه نحو المناسبة ولا يوجد من باب أولى وأحرى نشاط من نشاطات التّواصل لا يتوفّر (وهو أضعف الاحتمالات) على احتمال راجح للمناسبة، إن لم نقل إنّه يشتمل على ضمان للمناسبة (وهو أقوى الاحتمالات).

إنّ المبدأ الّذي تقوم عليه النّظريّة هو مبدأ المناسبة الّذي يصوغه (سبربر وولسون)"[1] الّذي يفسّر سيرورات العمليات الذّهنيّة في التّواصل، وبتوجيه النّظر إلى نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة لجيل فوكونياي G. Fauconnier كإحدى المقاربات التّداوليّة العرفانيّة، يمكنالإشارة إلى "شرح مقولة الملاءمة باعتبارها مقولة نظريّة نفسيّة ذهنيّة وإلى شرح امتداداتها المفهوميّة في مجالات التّواصل، والأنتروبولوجيا، وعلم النّفس المعرفي، والبلاغة."[2] فهي نظريّة تداوليّة عرفانيّة معاصرة تعود جذور أصولها إلى نظريّة بول غرايس (Paul Grice) وإلى مبدأ الملاءمةفي الاستلزام التخاطبي، ولكن

تطوّرت هذه الأفكار الغرايسيّة لدى سبربر وولسن من خلال الاستفادة من العلوم العرفانيّة عامّة، ومن علم النّفس العرفاني بصفة خاصّة مع أعمال جيري فودور Fodor. J عالم النّفس العرفانيّ.

أوّلا: التّداوليّة العرفانيّة وعلاقتها بالعلوم العرفانيّة:

تمثل التّداوليّة العرفانيّة حقلا علميا جديدا ساير التّحوّلات العرفانيّة المرتبطة بشكل أساسيبالتّطوّرات الّتي أحدثتها مجموعة من العلوم العرفانيّة الحديثة وعلى رأس هذه العلوم ما عرف باسم علم النّفس العرفانيّ فرع جديد من علم النّفس، وما عرف أيضا باسم العلم العرفاني فرع جديد من علم النّفس العرفانيّ، وفي خضمّ هذه التّحوّلات والتّطوّرات العرفانيّة استمدت نظريّات تداوليّة تطوّراتها من مفاهيم وإجراءات العلوم العرفانيّة، ويشير الباحث المنجي القلفاط إلى نظريّة الاستعارة التّصوّريّة؛ فقد استمدت مفاهيمها الإجرائيّة من اللّسانيّات العرفانيّة وتوسع مجراها العلميّ في التّداوليّة العرفانيّة باعتبارها مقاربة تداوليّة عرفانيّة، إذ " قارب التّداوليون الاستعارة من زاويّة صلتها بالمقام وبطرفي الخطاب ونبّه سيرل في هذا السّياق إلى أنّ الحديث عن وجود استعارة داخل خطاب ما لا يصحّ في ضوء هذين المعطيين، فلا وجود بالتّالي لاستعارة بمعزل عن سياق التّلفظ."[3]

ولقد أصبحت الاستعارات التّصوريّة تشكّل مبحثا رئيسيا في التّداوليّة العرفانيّة متجاوزة الإجراءات الشكليّة القائمة على مفاهيم التّفسيرات البسيطة الّتي تعتمد على مطلق التشبيهات اللّسانيّة الحرفيّة للخطاب إلى تصوّرات ذهنيّة تتشكل من خلال بنيات تصوّريّة تربط بين مجالين مجال تصوّريّ ضمن مجال تصوّريّ آخر "إذ يتبيّن عموما في الدراسات المعاصرة المتعلّقة بالاستعارة مقاربتين اثنتين، المقاربة **البنائيّة** والمقاربة **غير البنائيّة**،أمّا المقاربة البنائيّة فتوافق بالأساس أعمالا حديثة مفادها التقليل من شأن التّمييز بين **الخطاب الحرفي والخطاب المجازي** بل ربّما العمل على حذف هذا التّميز، أمّا المقاربة **غير البنائية** فهي توافق البلاغة الكلاسيكيّة وبعض الأعمال الحديثة، وهي مقاربة أساسها تمييزان اثنان أحدهما تمييز بين **الخطاب الحرفي والخطاب المجازي** والآخر تمييز بين **المعنى الحرفي والمعنى المجازي**."[4]وحظيت الاستعارة باعتبارات كبيرة في المنظورين اللّسانيّ والتّداوليّ،وأمّا امتزاجالاستعارة بالمباحث التّداوليّة العرفانيّة فذلك يعودإلىالأبحاث العرفانيّةالّتي تشكلت من منطلق تصوّرات ذهنيّة يسطرها الذّهن البشري أثناء عمليات التّواصل "أو على نحو أدق سيخصّص لكيفيّة مساهمة التّداوليّة في برامج البحث الّذي

حدّدته العلوم المعرفيّة والّذي يمكن لنا إجماله بالطريقة التّاليّة: توضيح اشتغال العقل/الدّماغ وبيان كيفية أنّ العقل-البشري خصوصا-يكتسب معارف ويطوّرها ويستعملها اعتمادا من جملة ما يعتمد على الحالة الذّهنيّة."[5]ويلاحظ تطوّرات وتحوّلاتفي بعض أقسام ومحاور التّداوليّة ممّا استفادته من العلوم العرفانيّة؛ حيث يلاحظ في الاستعارات التّصوّريّة أنّها تمثّل تمثيلات ذهنيّة لعبارات لغويّة،وهذه العبارات اللّغويّة تمثل تصوّر مجال ذهني في مجال ذهني آخر وعلى سبيل التمثيل يمكن النظر في العبارات اللّغويّة الاستعاريّة الّتي قدمها لايكوف وجونسون في نظريّة الاستعارات التّصوّريّة (الجدال حرب) إذ يمكننا تصوّر مجال الجدال ضمن تصوّر المجال الثّاني للجدال وهو الحرب، ولكن لا يعني هذا التّصوّر الاستعاري المجازي أنّ الجدال هو الحرب، فتصوّر مجال الحرب-استعمال السلاح والقتال والقوة والعنف-بالمخالفة الفكريّة والجدال والمعارضة والسير في الاتجاه المعاكس فكلّ هذه التّصوّرات الاستعاريّة تعبر عنها استعارة (الجدال حرب) وهي الاستعارات المجازيّة.

1-العلوم العرفانيّة وتاريخ ميلاد التّداوليّة العرفانيّة: لم تكن المقاربات التّداوليّة في بداياتها مقاربات تسعى إلى **دراسة العمليات الذّهنيّة في التفاعل التّواصلي مع الآخر**؛ فإذا هي تمثل الاشتغال التّداوليّ العرفاني، وهذا ما أهملته معظم النّظريّات التّداوليّة، وبدأ الاشتغال عليها ضمن إطار خاصّ من المباحث التّداوليّة العرفانيّة ضمن ما عرف بالعلوم العرفانيّة، الّتي باتت تطرحها المقاربات العرفانيّة وتداخلها "الاختصاصي مع مستجدات لسانيّة مُهِمّة أبرزها المستجد التّداوليّ العرفانيّ؛ حيث تَجسَّد هذا التّداخل في التّداوليّات العرفانيّة cognitive pragmaticsالّتي تعنى بدراسة العمليّات الذّهنيّة في التّواصل، وفي مقدّمتها عمليات الاستدلال في الفهم."[6]إذ أصبح للتّداوليّة العرفانيّة بعد انفتاحها على العلوم العرفانيّة تفسيرات استدلاليّة للعمليّات الذّهنيّة الضالعة في التّواصل، وقد تمثلت هذه المعطيات التّداوليّة العرفانيّة في نظريّات تداوليّة عرفانيّة تستمد مقوّماتها من التّحوّل الّذي عرفته التّداوليّة من العلوم العرفانيّة الّتي تزامن ظهورها مع ظهور نظريات علميّة معاصرة، وتحوّل الاشتغال التّداوليّ العرفانيّ من الآليات اللّسانيّة إلى آليات غير لسانيّةوذلك ما عرف في اللّسانيّات العرفانيّة بعلاقة اللّغة والذّهن في مجالات واسعة من البحوث والدّراسات الّتي تؤسس للغة باعتبارها **نظام ذهني يعتمد على قدرات ذهنيّة تحكمها آليّات لسانيّة تواصليّة وتفاعليّة**"وقد اتّسع هذا المنظور بانفتاح التّداوليّة

على رافد آخر يستمد مقوّماته من العلوم المعرفيّة، خاصّة علم النّفس المعرفيّ وفلسفة الذّكاء الاصطناعيّ وعلوم الأعصاب... إلخ، في هذا الإطار تؤكد آن ريول وجاك موشلر أنّ **تاريخ العلوم المعرفيّة يكاد يتطابق وتاريخ ميلاد التّداوليّة** فقد ألقى أوستين محاضراته (محاضرات وليام جيمس) سنة 1955م، وفي عام 1956 صدرت بعض المقالات المهمّة الّتي شكّلت انطلاقة العلوم المعرفيّة."[7]الّتي ساهمت في إحداث تغيّرات كبيرة في النّظريّة التّداوليّة؛ حيث أصبحت المقاربات التّداوليّة تسعى للكشف عن العمليّات الذّهنيّة والتمثّلات الذّهنيّة في التّواصل، وتفسير عمليّات التخاطب الّتي تحكمها آليات لسانيّة وأخرى غير لسانيّة.

وقد أغفل بعض الدّراسين حقيقة ترابط الحقول العلميّة بين التّداوليّة والعلوم العرفانيّة الّتي تعود بدايات ظهورها مع بدايات ظهور هذه العلوم الّتي حوّلت دراساتها إلى آليات غير لسانيّة تهدف إلى تفسير سيرورات التّواصل من خلال آليّات ذهنيّة في الذّهن البشري وكما تسعى لتفسير كيفية بناء معاني الأبنيّة الذّهنيّة في مختلف عمليّات التّواصل المتعدّدة"وتهدف العلوم المعرفيّة إلى بيان كيفيّة اشتغال الذّهن البشري ولقد قامتعلى عدّد من الفرضيّات الأساسيّة الّتي تشترك فيها بتفاوت ومن هذه الفرضيّات ما اقترحه الفيلسوف الأمريكي هيلاري بوتنام Hilary Putnam ومفادها أنّه رغم الاختلافات الواضحة بين الدّماغ البشري والآلات (الأول بيولوجي والثّانيّة ميكانيكية أو إلكترونيّة) فإنّه لا يوجد مبدئيا سبب يمنع من الحصول على النتائج نفسها من خلال الدّماغ أو الآلات (بمعنى الحصول على كيفية الاشتغال نفسها)"[8] ويعود تاريخ العلوم العرفانيّة لعام 1956 في هذا العام الّذي انضم فيه العديد من العلماء إلى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا على اختلاف اختصاصاتهم العلميّة، ومن بينهم نعوم تشومسكي Noam Chomsky الّذي ضمَّ اللّسانيّات للعلوم العرفانيّة، وضمت هذه التّخصّصات الأكاديميّة العلوم العرفانيّة منها: اللّسانيّات وعلم النّفس وعلوم الأعصاب والحاسوبيّات والذّكاء الاصطناعي والفلسفة والمنطق والهندسة اللّسانيّة والأنتروبولوجيا والكيمياء والاقتصاد والرياضيات والفيزياء وتقنيات حاسوبيّة وتصوّرات رياضيّة والحساب والتّجريب... إلخ

2-العلوم العرفانيّة SciencesCognitive: نقصدالعلم العرفانيّ تلك الدراسات الّتي تجمعتخصّصات أكاديميّة علميّة في دراسة المادّة العلميّة الواحدة تضم علوما مختلفة طبيعيّة وإنسانيّة، وأمّا حقيقة العلم العرفاني فقد تأسست من منطلق تطوّرات حدثت في علم النّفس؛

حيث ظهر مجال علمي جديد عرف باسم علم النّفس العرفانيCognitive psychology وقد حدث تطوّر آخر في خضمّ علم النّفس العرفاني حيث ظهر مجال علميّ جديد عُرف باسم العلم العرفاني ScienceCognitive وقد استفادت اللّسانيّات من هذا التّطوّر العلميّ بصفة عامّة، والتّداوليّة العرفانيّة بصفة خاصّة؛ من حيث اشتغالها على الدّراسات الضالعة في العمليات الذّهنيّة في التفاعل التّواصليّ"فالتّداوليّات الإدراكيّة cognitive pragmatics الّتي تُعنى بالعمليات الذّهنيّة الضالعة في التّواصل المقصود؛ أي تعنى بما يجري في عقل الشّخص المنخرط في التّفاعل التّواصلي مع الآخر."[9]وتجسد الدّور الرئيسي الّذي لعبته العلوم العرفانيّة في حركة التّطوّر والتّغيّر كأحد التّحدّيات العرفانيّة المعاصرة في اللّسانيّات التّداوليّة وفي التّلقي العربيّ للنّظريّة التّداوليّة العرفانيّة ومن المفيد أن نستقرئ معالجة التّحوّلات الّتي مرّت بها النّظريّة التّداوليّة في خضمّ التّطوّرات العلميّة للعلوم العرفانيّة ومقارباتها للمسائل اللّغويّة، وبصفة خاصّة في عمق التّلقّي العربيّ المعاصر للنّظريّة التّداوليّة العرفانيّة فقد ارتأينا في هذا البحث محاولة الإجابة عن بعض التساؤلات الّتي اشتغلت عليها مباحث النّظريّة التّداوليّة العرفانيّة، كيف سايرت النّظريّة التّداوليّة المعاصرة العلوم العرفانيّة؟ ماذا نقصد بالتّداوليّة العرفانيّة cognitive pragmatic؟ علام تستند التّحدّيات الّتي باتت تطرحها المقاربات العرفانيّة وتداخلها الاختصاصي مع مستجدات لسانيّة مُهِمّة أبرزها مستجد النّظريّة التّداوليّة العرفانيّة؟ هل اتّسع منظور النّظريّة التّداوليّة على رافد آخر يستمد مقوماته من العلوم العرفانيّة؟ كيف تمَّ ربط جسر التّواصل بين التّداوليّة والعلوم العرفانيّة؟ وما هي النّظريّات المؤسسة للتّداوليّة العرفانيّة؟ وما جذورها وامتداداتها؟

ثانيا: المحتوى المفهومي لمصطلح (التّداوليّة العرفانيّة cognitive pragmatic): يشهد العالم الغربيّ والعربيّ مُتغيّرات مُتقدّمة في البحوث العلميّة، وخاصّة ما برز في إطار العلم العرفاني والعلوم العرفانيّة وفي اللّسانيّات العرفانيّة والتّداوليّة العرفانيّة اللّتين تميزتا بانتشارهما الكبير بصفة خاصّة حينما امتزجت اللّسانيّات بتخصّصات علميّة أخرى "وانطلاقا من ذلك ستقوم بإعمال **المنهج التّداوليّ المعرفيّ**، الّذي هو عبارة عن تداخل متكامل ومنسجم بين مجموعة من المناهج والنّظريّات أبرزها العلم المعرفيّ (الّذي انبثقت عنه التّداوليّات المعرفيّة) واللّسانيّات المعرفيّة (الجيل الثّالث اللّسانيّات).وهذا المنهج عبارة عن توظيف مجموعة من آليّات ومفاهيم وطرائق العلوم النّظريّة العلميّة كالمنطق والمعلوميّات والعلوم الاجتماعيّة أو الإنسانيّة

كالفلسفة وعلم النّفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة وغيرها."[10]وعن أصول المنهج التّداوليّ العرفانيّالّذي يضبط شروط التخاطب والتّواصل دون قيود المعاني الحرفيّة أو المعاني المجازيّة "فإنّ التّداوليّة بصفة عامّة هي المعرفة الشاملة بالآخر والمعرفة العميقة بمكوّنات عمليّة التخاطب، أو هي كما يحدّدها فوكونياي جزء من العلم المعرفيّ باعتباره المستوى الوسيط بين العالم الحقيقي أو الفيزيائي وعلم اللّغة."[11] وذلك الارتباط الوثيق بين علم النّفس العرفانيّ والتّداوليّة يظلّ بارزا في الكثير من الإجراءات النّظريّة والتّطبيقيّة، وعلى رأسها مكوّنات عمليّات التّواصل والتّخاطب بين المخاطِب والمخاطَب تمثّلها تمثيلات تصوّريّة متضمنة في العبارات اللّغويّة.

1-التّداوليّة العرفانيّة: لعلّ التحديدات الدقيقة لتعريف التّداوليّة في بدايتها ظلت مسيطرة لفترة طويلة في المقاربات التّداوليّة الأولى، لكن مع ظهور تغيّرات جديدة وتحوّلات حدثت مع العلوم العرفانيّة والانتقال من الاشتغال الآلي بالآليات اللّسانيّة إلى العمليّات الذّهنيّة، مكّن التّداوليون العرفانيون من تحديد مفهوم جديد للتّداوليّة العرفانيّة.

1-1-تعريف التّداوليّة العرفانيّة: هي دراسة العمليّات الذّهنيّة في التّفاعل التّواصلي والّتي تعنى بمكوّنات عمليّات التّخاطب؛ أي العمليّات الذّهنيّة في ذهن المتكلّم المرتبط بالسّياق التّفاعلي مع الآخر، وهي تعنى بكيفيّة اشتغال الذّهن البشري في التّفاعل الخطابي، وتهدفلدراسة العمليّات الذّهنيّة في التّواصل، وفي مقدّمتها عمليات الاستدلال التّخاطبي بين المخبَر والمخبِر.

وتعود الإشارات الأولى للتّداوليّة العرفانيّة "الّتي بدأت جذورها مع فلاسفة اللّغة (أوستين وسيرل وغرايس) في البحث عن علاقة القول بصاحبه؛ من حيث شروط إنتاجه واعتقاد صدقه ومقصديّته لينفتح مجال الدّراسة على علوم الأعصاب، وعلاقة العمليّات العقليّة الّتي تحصل على مستوى الدّماغ البشري باللّغة الّتي يتمّ استعمالها وفق سياق معيّن لتتشكّل خصوصيّتها بناء على استراتيجيّات التّخاطب الّتي تخضع لها، لتؤدي الغرض المنوط بها لإنجاح العمليّة التخاطبيّة"[12]وقد كانت إشارات طه عبد الرّحمنللتّداوليّة العرفانيّة في كتابه (في أصول الحوار وتجديد الكلام) كما يذكر عبد السّلام عشير: "إنّ التّداوليّات المعرفيّة كما يؤكد ذلك طه عبد الرّحمن: تقوم على تعدّد منهجي، فالطريق إلى المعارف كثيرة ومتباينة؛ لأنّ مذاهب المتناظرين شتّى على عكس البرهان الّذي يتوافق مع تصوّر نظام اجتماعي تستبد فيه بنيّة واحدة بالتوجيه."[13]ولم يكن المنهج التّداولي العرفاني يأخذ من اتّجاه واحد بل يعتمد على مناهج علميّة متعدّدة وعلوم مختلفة في تفسير

سيرورات العمليّات الذّهنيّة في التفاعل التّواصلي، ويقول طه عبد الرّحمن: "وقد كانت أكثرُ استفادتنا في هذا البحث من قسم (التّداوليّات) في أبوابه الثلاثة: باب (أغراض الكلام) وباب (مقاصد المتكلمين)، وباب (قواعد التّخاطب)وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح ((التّداوليّات)) مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)؛ لأنه يوفي المطلوب حقّه باعتبار دلالته على معنيي (الاستعمال) و(التفاعل) معًا ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الّذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم."[14]ولعلّ تلميحات طه عبد الرّحمن للتفسيرات الذّهنيّة واستدلالاتها المنطقيّة في بعض الأحكام والمقتضيات المعرفيّة واللّغويّة تبدو من المفاهيم المسلمة بها فكثيرا ما كان طه عبد الرّحمن يتمسك بالتّراث العربيّ، ويستطلع مختلف التّطوّرات والتّغيّرات الغربيّة الحديثة، ويقدّم لها تفسيرات منهجيّة ووصفيّة يستمد أصولها من التّراث العربيّويقول محي الدّين محسب: "ما يعنينا هنا هو الأثر الّذي أحدثه ويحدثه في نظريّة الترجمة صعود **النسبيّة التّداوليّة والنسبيّة الإدراكيّة** اللّتين جسدهما اتجاهان لسانيّان كبيران أصبحا يحتلان صدارة المشهد اللّسانيّ على الأقل منذ الثلث الأخير من القرن العشرين الميلادي الماضي؛ وأعني بهما (التّداوليّات) و(الإدراكيّات/العرفانيّات) وهما الاتجاهان اللّذان بلغ انتشارهما إلى المرحلة الّتي نشهد فيها تداخلهما الاختصاصي ماثلاً في تلك الاختصاصات الصاعدة مثل التّداوليّات الإدراكيّة cognitive pragmatics."[15]فالتّداوليّة العرفانيّة قفزة علميّة للنّظريّات التّداوليّة الّتي سعت إلى محاولة تفسير الظواهر اللّغويّة أثناء الاستعمال، لكنها أهملت جانبا كبيرا في التفاعل التّواصلي للخطاب وللذّهن البشري؛ أي الكشف عن تلك العمليّات الذّهنيّة في التّفاعل الخطابي.

ويذكر في هذا الصدّد تحولّ الدّراسات التّداوليّة إلى المقاربة العمليّة للعمليات الذّهنيّة "فإنّ التّداوليّة في حقيقتها هي **ملاحظة العلميّة الذّهنيّة**/العقليّة الّتي يقوم فيها الدّماغ بالرّبط بين الأشياء المتفقة والمختلفة وربما المتنافرة وفهم كلّ ما في الكون من أشياء، وفي عالم المتكلّم والمتلقّي ومحاولة إفهامها للآخرين والتّواصل معهم وخلق عالم من الخيال في عقول البشر حول الأشياء المعروفة وغير المعروفة في عالمنا."[16] ولمعرفة ما وصل إليه التحوّل المعرفي في اللّسانيّات العرفانيّة بصفة عامّة وفي التّداوليّة العرفانيّة بصفة خاصّة وجب فهم المنحى الغربيّ المعاصر؛ حيث أصبحت كلّ المقاربات اللّسانيّة العرفانيّة تأخذ من كلّ الاختصاصات العلميّة وذلك التّداخل الاختصاصي بين اللّسانيّات والعلوم العرفانيّة أحدث تغييرا في مجال اللّسانيّات؛ حيث ظهرت النّظريّة اللّسانيّة

العرفانيّة، ومعنى ذلك أنّ كثيرا من النّظريّات العرفانيّة استجلبت من اختصاصات أخرى كعلم النّفس العرفانيّ والحاسوبيّات وعلم الأعصاب والفلسفة والأنتروبولوجيا ومن حركة العلم العرفاني أو العلوم العرفانيّة والنتائج العلميّة التي توصل إليها تمّ التّركيز على مقاربات العلميات الذّهنيّة في التّواصل والاستنتاجات الذّهنيّة للغة أثناء الاستعمال والتأويل الذّهني للأقوال.

1-2-مدخل للأسس النّظريّة للتّداوليّة العرفانيّة:يتمثل المدخل التأسيسي إلى التّداوليّة العرفانيّة من العلوم العرفانيّة الّتي حوّلت المسار التّداوليّ من البحث في الآليّات اللّسانيّة البحتة في التّواصل إلى البحث في العمليّة الذّهنيّة للتفاعلات التّواصليّة أو إلى تلك العمليّات الذّهنيّة/العقليّة في التفاعل الخطابي بين المخبَر والمخبِر.

ويذكر محي الدّين محسب أوّل المقاربات التّداوليّة العرفانيّة في عام 1999م، والّتي ترجمت إلى الإنجليزيّة عام 2010م تحت عنوان " the mental processes of communication هذا هو العنوان الفرعي لكتاب برونو بارا (Bruno Bara) الّذي صدر بالإيطاليّة عام 1999م، وترجمه إلى الإنجليزيّة (جون داوثويتJohn Douthwaite) عام 2010م، تحت عنوان رئيس هو (التّداوليّات الإدراكيّة (التّداوليّات العرفانيّة)) Cognitive-pragmatics ولكن مع الأسف لم أستطع الحصول عليه."[17] وبعد هذه المرحلة وبالخصوص بعد كتاب cognitive pragmatics: the mental processes of communication **التّداوليّات العرفانيّة والعمليّات الذّهنيّة في التّواصل** لصاحبه برونو بارا (Bruno Bara) ازدادت التّداوليّات العرفانيّة انتشارا وتوَسعا كبيرين عند الغرب، وأصبح الاشتغال التّداوليّ بشكل عامّ أو خاصّ يتجاوز أصول التحديد الأولي للبدايات التّداوليّة؛ حيث أصبح الاشتغال في التّداوليّة العرفانيّة يتأسس من خلال العمليّات الذّهنيّة في التّواصل.

1-3-مدخل إلى التّداوليّة العرفانيّة العربيّة:سعى التّداوليون العرب بعد نجاح انتشار المقاربات التّداوليّة في العالم العربيّ إلى تطوير بعض النّظريّات استجابة للتطلعات الغربيّة في المقاربات التّداوليّة العرفانيّة؛ حيث عرفت هذه الأخيرة تطوّرا كبيرا على مستوى الإجراءات النّظريّة والتّطبيقيّة، وأمّا عن تفسير الاتّجاهات والمناهج المختلفة للتّداوليّة العرفانيّة في التناول العربيّ فقد اختلف التّداوليون العرب في ترجمة المصطلح بالتّداوليّة المعرفيّة والتّداوليّة العرفانيّة والتّداوليّة الإدراكيّة.

وكانت بعض الإشارات العربيّة للتّداوليّات العرفانيّة تحت اسم (التّداوليّة المعرفيّة) لكن لم تعنى كلّ هذه المقاربات بالاتجاه العرفانيّ—العمليات الذّهنيّة في التّواصل-بل اعتنت بالتركيز على النّظريّات التقليديّة في أقسام ومحاور الدّرس التّداوليّ الغربي "كنظريّة الأعمال اللّغويّة ليست نظريّة معرفيّة... فإن أوستين وسيرل وبصفة عامّة منظري الأعمال اللّغويّة وأتباعهم حجبوا جانبا آخر من التّداوليّة هو ذاك المتصل **بالعمليّات الاستدلاليّة** واللّجوء في تأويل الجمل إلى السّياق وإلى المعلومات غير اللّغويّة."[18] ولم تكن الإشارات العربيّة في التّداوليّة العرفانيّة تنظر إلى ما تغيّر وتطوّر من أقسام ومحاور الدّرس التّداوليّ مع العلم العرفانيّ أو نحو انفتاح التّداوليّة على العلوم العرفانيّة بشكل مباشر، ولكن هناك اتّجاه آخر ضمّمجموعة من التّداوليين الّذين يتميّزون بنزعتهم الإيجابيّة في تطوير البحث التّداوليّ استنادا إلى المنهج العرفانيّ واستجابة للتّحوّلات المعرفيّة لهذا الاتّجاه في التناول الغربيّ.

ثالثا: بعض نظريّات التّداوليّة العرفانيّة:تمثل النّظريّات التّداوليّة العرفانيّة تحوّلا جذريا من المقاربات اللّغويّة البحتة إلى ما يحكمها من عمليات استدلاليّة-عمليّات ذهنيّة في التّواصل-في الذّهن البشريّ؛ حيث تمثل العمليّة الذّهنيّة/العقليّة في ذهن المتكلّم وفي ذهن المتلقّي أثناء التّواصل التّفاعلي الخطابيّ.

1-نظريّة الملاءمة أو المناسبة لـ دان سبربر وديردر ولسن WilsonDeirdreDan Sperberet: يعتبر كثير من التّداوليّين أنّ نظريّة الملاءمة هي امتداد لنظريّة غرايس وبصفة خاصّة لمبدأ الملاءمة، لكن كان هذا محض افتراض أوّلي؛ لأنّ ما يمكن الوقوف عليه هو تطوّر وتحوّل المقاربة من المبادئ اللّسانيّة إلى العمليات الذّهنيّة في التّواصل التّفاعلي، وإلى الكشف عن آليات اشتغال الذّهن البشري في التّفاعل الخطابي، بهذه العمليات تجاوز سبربر وولسن آليات الاشتغال في نظريّة غرايس، وقد استفاد كلّ من سبربر وولسن في هذا الحقل العلميّ من نظريّة جيري فودور Fodor. J عالم النّفس العرفانيّ-حول كيفيّة اشتغال الذّهن البشري"فإنّ أكثر المحاولات جدّيّة فيما يخصّ بناء التّداوليّة المعرفيّة، ليست امتدادا لأبحاث غرايس رغم أنّها تعدّ جزئيا وريثتها والمقصود بذلك النّظريّة التّداوليّة الّتي وضعها دان سبربرDan Sperberوديردر ولسن WilsonDeirdreفي بداية الثمانينات انطلاقا من نقد بنّاء للفرضيّات الغرايسيّة."[19]

وتستمد نظريّة سبربر وولسن أسسها من العلوم العرفانيّة وبالخصوص من علم النّفس العرفاني،وأمّا المدخل الرئيسي للتّداوليّة عند سبربر وولسن هو علم النّفس العرفاني الّذي قدمت فيه مبادئ رئيسيّة وإجراءات أساسيّة في معالجة الذّهن البشري؛ حيث "تتنزّل نظريّة الإفادة الّتي وضع أسُسَها كلّ من سبربر وولسن في كتابهما الإفادّة: التّواصل والعرفان 1986م، ضمن ما يعرف في الدّراسات اللّسانيّة المعاصرة بتّيار التّداوليّة العرفانيّة، وقد تأسست هذه النّظريّة انطلاقا من محاولة تفسير مبدأ الإفادة، اعتمادا على منوال عرفاني بديل عن المنوال السنيّ أو منوال الشفرة، وهو المنوال الاستدلالي، وقد انطلق الباحثان ضمن هذا التوجّه من اختزال القواعد المتحكّمة في التّواصل اللّغويّ الّتي أقرها بول غرايس وحصرها في قاعدة الإفادة relevance وذلك على أساس مركزيّة مبدأ الإفادة في عمليتي تأويل الأقوال وتلقّيها."[20]وقد وسعت أفكار سبربر وولسن العرفانيّة المتأثرين بأعمال جيري فودور في علم النّفس العرفانيّ نظريّة بول غرايس في التّواصل اللّغويّ انطلاقا من مبادئ العمليّات الذّهنيّة في التّواصل، وتعدّ أعمال جيري فودور من الأعمال الرئيسيّة الّتيظهرت مع تقدم العلوم العرفانيّة "وقد تطوّر موقف سبربر وولسن منذ نشر مؤلّفهما (1989) الكتاب المشار إليه هو: Relevance, Communication and Cognition. وقد نشر في صيغته الأصليّة بالإنجليزيّة سنة 1986 وترجمه إلى اللّغة الفرنسية كلّ من Abel Gerschemfeld,Dan Sperber بعنوان La Pertinence, communication et cognition, Les Editions de Minuit, 1989."[21] وفي الأرجح كانت هذه المرحلة أوّل التقاء بين التّداوليّة والعلوم العرفانيّة في الكتاب الّذي نشر عام (1989) Relevance, Communication and Cognition. وترجمه إلى الفرنسيّة أبيل غيرشيمفيلد ودان سبربرAbel Gerschemfeld Dan Sperber وهو الانتقال من اللّسانيّات التّداوليّة أو التّداوليّة اللّسانيّة إلى التّداوليّة العرفانيّة.

وتذهب ذهبية حمو الحاج إلى القول: "يصل الجانب المعرفي قمّته في التّداوليّة في أهمّ نظريّة من نظرياتها وهي نظريّة الملاءمة عند سبربر وولسن، والّتي ظهرت في الثمانينات انطلاقا من نقد بناء للفرضيّات الغرايسيّة تندرج ضمن العلوم المعرفيّة، وتيار الفكر المعرفي الّذي ينتمي إليه."[22]ولم تكن نظريّة سبربر وولسن نقدا لنّظريّة غرايس بقدر ما هي تطوير علمي لها لما يتوافق مع تطوّرات معطيات علم النّفس العرفاني ونظريات فودور بصفة خاصّة، والعلوم العرفانيّة بصفة عامّة "وتتأتى

أهميّة هذه العلوم حسب (سبربر) من قدرتها على إحداث تغيير جذري في فهمنا الإنساني على أساس دعوى أساسيّة، وهي أنّه ثمّة اشتغال ميكانيكي للعقل."[23]وقد كانت العلوم العرفانيّة سببا في تقدّم عجلة البحوث التّداوليّة سعيا إلى تأسيس معرفي جديد في تفسّير العمليات الذّهنيّة في التّواصل؛ من حيث القدرات الذّهنيّة للمتكلّم والمتلقّي "وفق ما يراه أصحاب النّظريّة المعرفيّة ويلسون وسبربر فهما ينطلقان من عمليّة الفهم على أساس أنّها القاعدة الّتي سيقترحانها ضمن ما يسمّى بالتّداوليّات المعرفيّة..."[24]إذ تحوّل الاهتمام من الأثر اللّسانيّ إلى الأثر الذّهنيّ فالخطاب يحمل تأثيرات ذهنيّة، وكلّ الألفاظ تضمر مؤثرات مختلفة؛ حيث تحمل الخطابات توجيهات مختلفة إلى المتلقّي ويتجلى "ذلك عند كلّ من سورل وأوستين اللّذين اعتبرا أنّ تأويل الأقوال يتمّ بطريقة ترميزيّة ويكون قصد المخاطب مبثوثا في الجملة أو القول، وهذا ما سمّاه سورل بـ (مبدأ الإبانة)"[25]

ولكن سبربر وولسن ركزا على الحالات الذّهنيّة الّتي تمثّل عاملا رئيسيا في عمليات التّواصل؛ بحيث لا تكون المقاصد التّواصليّة مبثوثة في الخطاب بشكل صريح فقد تكون إيماءات ضمنيّة أو مضمرة، وقد وضح سبربر وولسن من خلال حوار تواصلي دار بين الأب والابن، وقد اتضحت بعض تفسيرات التّواصل اللّغويّ من تفسيراتالحالات الذّهنيّة في التّواصل واعتمد كلّ من سبربر وولسن في تقديمهما لنموذج تفسيري على مثال نظريّ يقوم على معالجة عمليات التّواصل اللّغويّ وتفسير الحالات الذّهنيّة"لنفترض المقام التّالي: يطلب أبٌ ذات مساء من ابنه بعد تناول العشاء أن ينظف أسنانه، فيجيب الابن بكيفية تبدو غريبة: (لا أشعر بالنعاس) فما الّذي أراد الابن قوله؟ كيف تمثّلجملته إجابة للأمر الّذي وجهه أبوه؟ إذا كانت الإجابة بنعم فكيف نعرف إن كانت قبولا أو رفضا؟ إنّها بطبيعة الحال رفض، فالطّفل لا يرغب في تنظيف أسنانه على الفور ويقدم مبررا لعدم رغبته في القيام بذلك، ولكن مرة أخرى كيف نعرف أنّها رفض؟ ما العلاقة بين عدم الشعور بالنعاس وتنظيف الأسنان أو عدم تنظيفها؟ يقدم الطّفل انعدام شعوره بالنعاس حجّة مانعة لتنظيف أسنانه فورا؛ لأنّ الّذي استقر في ذهنه أن تنظيف الأسنان مساءً يسبق قليلا زمن الإخلاد إلى النّوم، لكن ما نلاحظه أن تأويل هذه الجملة البسيطة (لا أشعر بالنعاس) الّتي مثّلت إجابة عن أمر الأب هو تأويل بعيد كلّ البعد على أن يكون مجرد فك للرموز إذ لا يوجد أي نظام ترميزي لسانيّ يمكن من فهم هذه الجملة على أنّها قبول أو على أنّها رفض أو تبرير للرفض فلفهم إجابة الطّفل ينبغي تقديم فرضيّات تتعلق **بحالته الذّهنيّة** وافتراض أنّ جملته مناسبة

للمقام."[26] وتمثّل تلك الحالات الذّهنيّة-العمليّات الذّهنيّة- حالات خطابيّةتفاعليّة اجتماعيّة وغير اجتماعيّة، فهي تمثّل الحالات الذّهنيّة التّييتحدّد منها تفسير عمليات التّواصل في الذّهن، فالنّظام اللّساني لا يكفي لتحديد القصد التّواصلي والقصد الإخباري بين المتكلّم والمتلقّي، وأمّا عن الإجابة الّتي قدمها الابن لوالده، والّتي تمثل ملفوظ الخطاب غير المباشر منه؛ لأنّ الملاحظ في جملة (لا أشعر بالنعاس) تخرج عن السّياق الملفوظ إلى سياق الحالة الذّهنيّة للابن.

1-1-**المعرفة المشتركة**: حدّد سبربر وولسن تفسير الحالات الذّهنيّة انطلاقا ممّا هو رئيسي ومشترك بين طرفي الخطاب؛ أي تلك المعرفة المشتركة بينهما، وتقوم على استراتيجيّة المؤوّل باسم **نظريّة المعرفة المشتركة**؛ حيث "تقوم استراتيجية المؤوّل بالنسبة إلى شخص ما-لنقل زيد- على أن ينسب إلى شخص آخر-لنقل زينب-فكرة أو معرفة هي على سبيل المثال أنّ القطّ فوق الحصير فزيد يظنّ إذن أنّ زينب تعرف أنّ القطّ فوق الحصير، وليس في هذا ما يدعو إلى الحيرة إلاّ أنّ هذه الصيغة الصارمة **لاستراتيجيّة المؤوّل** لا تقف عند هذا الحدّ فهي تقتضي بأن تعلم زينب أن زيد يظنّ أن زينب تعلم أن القطّ فوق الحصير.... وهكذا دواليك إلى ما لانهاية له وتتميّز هذه الصيغة من استراتيجيّة المؤوّل المعروفة باسم (**نظريّة المعرفة المشتركة**) بأنّها تؤدي إلى التراجع من النتائج إلى المقدمات في تسلسل لا ينتهي."[27]ولكن قد تمثل المعرفة المشتركة بعض الاختلافات بين طرفي الخطاب؛ حيث يختلف المخزون المعرفي من متكلّم إلى آخر، ومن متلقّي إلى آخر بحسب القدرات المعرفيّة بين الأفراد، وبحسب قدرات الأفراد على تأويل المعطيات اللّسانيّة من حيث الفهم ما يفهمهالفرد الأوّل ليس بالضرورة ما يفهمه الفرد الثّاني.

ويوضّح عبد السلام عشير مفهوم المعرفة المشتركة في التّداوليّة العرفانيّة: "لقد ارتبط مفهوم المعرفة المشتركة ارتباطا أساسيا بالنموذج التّرميزي (CODE) فبدون هذه المعرفة المشتركة لا يشتغل هذا النموذج فكيف يؤسس السّياق وجودها؟ وكيف يميّز المتكلّم بين ما هو مشترك وما هو غير مشترك؟ تلك أسئلة طرحها التّداوليون (في إطار الاتجاه المعرفي) وقدموا في شأنها إجابات محدّدة تناولت طبيعة المعرفة المشتركة الّتي لا تعدوا أن تكون بناءً فلسفيا لا معادل له في الواقع وليس معنى هذا إنكار أنّ النّاس يتقاسمون معلومات متعدّدة، ذلك أنّ عمليّة الاتصال ذاتها تعطي الحقّ في ميلاد المعلومات المشتركة."[28]وقد تكون هذه المعلومات المشتركة على درجات متفاوت بين المتكلّم والمتلقّي ويحكمها الاتصال المباشر؛ حيث يقع التوافق المشترك من خلال تلك

المعلومات المتبادلة بين الطرفين؛ أي بين منتج الخطاب ومتلقّي الخطاب وفوق كلّ هذه المرجعيات أسس جيري فودور نظريته المشهورة باسم (أنظمة الذّهن المركزيّة) في علم النّفس العرفاني، وقد اشتغل سبربر وولسن بهذه النّظريّة على تفسير العمليات الذّهنيّة في التّواصل.

1-2-منظوميّة الذّهن The modularity of mind: يقوم اشتغال جيري فودور Jerry Fodoreفي مجال علم النّفس العرفاني على أنظمة الذّهن المركزيّة أساسا رئيسيا لمنطلق أفكار سبربر وولسن؛ حيث حاولا تقديم وجهة نظر جديدة في تفسير عمليات التّواصل اللّغويّ من فرضية اشتغال الذّهن كما أنّ النّظام اللّساني يمثل أيضا تمثلات ذهنيّة "وقد استند الباحثان تحديدا إلى مذهب فودور في النظر إلى الذّهن نظرة منظوميّةmodulariste تجعله ينقسم إلى صنفين من الأنظمة: صنف الأنظمة المركزيّة وصنف الأنظمة الطرفية، ولذلك فإنّ الإفادة لديهما لا تتحقّق إلاّ داخل أنظمة الذّهن المركزيّة؛ إذ تقوم الوحدة اللّسانيّة الطرفية بعمليّة بناء كلّ التّمثيلات الممكنة لقول ما، ثمّ يقع ترشيح أحد هذه التمثيلات من قبل القدرة الاستدلاليّة المركزيّة في شكل فرضيّات."[29]إذ يبيّن جيري فودور أنّ أنظمة الذّهن المركزيّة تنقسم إلى قسمين: قسم الأنظمة المركزيّة الّتي تمثلها العمليات الاستدلاليّة المركزيّة في التّواصل وعمليّات التّخاطب، وأمّا القسم الثّاني وهو قسم الأنظمة الطرفيّة فتمثله الوحدات اللّسانيّة الطرفيّة الّتي تتمثّل بعمليات بناء كلّ التمثلات الممكنة للخطاب، والّتي تفسّر بمعنى الأطر المرتبطة بالخطاب.

ومن خلال هذا التّصوّر العامّ لاشتغال الذّهن البشري مع معطيات خارجيّة تقابلها تمثيلات ذهنيّة داخليّة حاول فودور أن يؤسس لنظريّة جديدة "وهو ما دفعه للحديث عن نظريّة تمثيليّة للذّهنRepresentational Theory of Mind تعتبر أنّ الحالات الذّهنيّة مرتبطة بعلاقات حوسبيّة، وأنّ الذّهن يشتغل بطريقة تراتبية لمعالجة المعلومات وهي معالجة تتدخل فيها ملكات متعدّدة لا وجه لتخصيصها برقعة ما من الذّهن البشري."[30] وتتمثل معالجة الذّهن البشري عند جيري فودور بمعالجة الحاسوب والذّكاء الاصطناعي؛ حيث مثل البحث في مجال الحاسوب وصفا علميّا للكشف عن كيفية اشتغال الذّهن، فالعمليات الاستدلاليّة تمثل قدراكبيرا من التمثيلات الذّهنيّة "وقد عرض فودور هذا التّصوّر أساسا من خلال كتابه (منظوميّة الذّهن The modularity of mind) الصّادر سنة 1983 الّذي يمثل المرجع الأساسي المعتمد لدى سبربر وولسن، وتقوم هذه النظرة على تصوّر الفكر باعتباره انعكاسا لبرامج الحاسوب، وهو

يشكل قاعدة البحث في الذّكاء الاصطناعي القائم على فرضيّة إمكانيّة التّمثّل الصّناعي لطرائق اشتغال الذّهن، ويختلف هذا المذهب الممثّل للعرفانيّة الأرثذكسيّة عن العرفانيّة التّرابطيّة connexionisteالقائمة على التفكير في الحاسوب باستحضار الدّماغ أي باستعارة الدّماغ للفكر."[31]وتعتبر هذهالمباحث الذّهنيّةصورة عاكسةللمباحث الحاسوبيّة كما أنّها نظريّة تفسيريّة لكيفية اشتغال الذّهن مع الأنظمة اللّسانيّة؛ أي طرق الاستدلال الذّهنيّ التخاطبي باعتبار اللّغة تمثيلا ذهنيا كما أنّها نظام من الرّموز والأبنيّة الصّوتيّة والنّحويّة والصّرفيّة والدّلاليّة، وهذا النّظام اللّغويّ يمثل ترسيما ذهنيا في ذهن المتكلّم والمتلقّي، وهكذا حاول سبربر وولسن تفسّير التّصوّرات الذّهنيّة من منطلق الأبنيّة اللّغويّة الخطابيّة.

ويذكر عن التّداوليّة العرفانيّة والجذور التّمهيديّة لها خاصّة حديث آن ربول وجاك موشلرفي هذا السّياق الّذي أدى إلى ازدهار العلوم العرفانيّة تحت تأثير دراسات الذّكاء الاصطناعي على وجه الخصوص، وإلى رؤية مختلفة لما يمكن أن تكون عليه التّداوليّة: تداوليّة عرفانيّة تسعى إلى أخذ صلات اللّغة بمستخدميها بعين الاعتبار من خلال جعلها أحد جوانب نظام أكبر بكثير لمعالجة المعلومة على نحو ما نجده في نظريّة المناسبة لسبربير وولسون.وغير بعيد عن ذلك يرى موشلرأنّ الفضل يرجع أساسًا إلى كتاب ((المناسبة)) لسبربير وولسون (1986)، الّذي بيّن أنّ لإسهام غرايس تأثيرين أساسين في اللّسانيّات: الفصل بين بنية اللّغة واستخدام اللّغة من ناحيّة والتخلي عن أطروحات المعنى التواضعيّة من ناحيّة أخرى.

وبشكل عام، فثمة منظوران للتّداوليّة : الفلسفي والعرفاني فمن المنظور الفلسفي كان الاهتمام بالتّداوليّة مدفوعا إلى حد كبير بالسعي إلى حل المشكلات والقضايا الواردة في علم الدّلالة. "[32] وذلك ما يفسّر مراحل بدايات التّداوليّة كما يرى بعض الباحثين أنّ التّداوليّة اتجاه دلالي محض وذلك عند ارتباط أقسام ومحاور التّداوليّة بالتفسير الدّلاليّ كأوّل مرحلة بدأت بها التّداوليّة، ثمّ بدا بعد تفسير جديد للسانيّات التّداوليّة مثلما يرى بعض اللّسانيّين أنّ التّداوليّة اتجاه لسانيّ محض، وبعد ذلك تأتي المرحلة الثّالثة مثلما يرى بعض العرفانيّين أنّ التّداوليّة اتجاه تداوليّ عرفانيّ أو منهج تداولي عرفاني محض، وذلك عندما ارتبطت أقسام ومحاور التّداوليّة بالعلوم العرفانيّة وباللّسانيّات العرفانيّة.

2-نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة لجيل فوكونياي Mental spaces theory:

تمثّل نظريّة الأفضية الذّهنيّةنظريّة ضمن نظريات اللّسانيّات العرفانيّة وهي في ذاتها تتشكل على أنّها مقترح تداوليّ عرفانيّ "وعلى أنّها مقترح نظريّ عرفانيّ تأليفي ذو مدى **دلاليّ تداوليّ** يسمح باستيعاب اسهامات عرفانيّة سابقة من قبيل مفهومي الإطار والسيناريو لدى فيلمور والاستعارة عند لايكوف وجونسون وتحليل الاقتضاءات بواسطة عوالم الخطاب المتّصل بعضها ببعض عند دنسمور ومعالجة ظواهر الإحالة عند نونبرغ وجاكندوف إلخ."[33] وكما تعدّ نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة النموذج التّطوّري لما يسمّى بالتّداوليّة العرفانيّة؛ حيث يذهب العديد من الباحثين إلى القول بهذا النموذج التّداوليّ العرفانيّ، الّذي أصبح يفكّ ألغاز اللّسانيّات التّداوليّة بمقاربات لسانيّة عرفانيّة ومن هذه المقاربات التّداوليّة العرفانيّة نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة للفرنسي جيل فوكونياي G. Fauconnierوهي ثمرة عمل اللّسانيّ (فوكونياي1984Fauconnierوكانت مهّدت لها السّبيل أعمال لسانيّ آخر هو (نونبرغ1978 Nunberg)[34]وتتقاطع نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة لجيل فوكونياي مع نظريّة العوالم الممكنة للعالم اللّساني نونبرغ، ولكن هناك بعض الاختلافات؛ حيث بدأ جيل فوكونياي في نظريّة الأفضية الذّهنيّة متأثرا بنظريّة العوالم الممكنة ثمّ تجاوزها في إطار العلوم العرفانيّة اعتمادا على النتائج العلميّة في علم النّفس العرفاني.

2-1-بين نظريّة العوالم الممكنة ونظريّة الأفضيّة الذّهنيّة: تمثل نظريّة العوالم الممكنة لـ نونبرغ البدايات التّمهيديّة لنظريّة الأفضيّة الذّهنيّة، لكن مع تطوّر البحث في علم النّفس العرفانيّ أصبحت نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة تشكل اختلافات موسعة مع نظريّة العوالم الممكنة إذ ارتبطت هذه الأخيرة بالاتجاه الفلسفي الميتافيزيقي.

2-1-1-نظريّة العوالم الممكنة: يبدوالتقارب واضحا بين نظريّة العوالم الممكنة الّتي أسسها العالم اللّساني الأمريكي نونبرغونظريّة الأفضيّة الذّهنيّة، ولكن ما يمكن ملاحظته هو الاختلاف الجوهري بينهما؛ من حيث الاتجاه الّذي تقوم عليه كلّ نظريّة فنظريّة العوالم الممكنة تعنى بمظهرها الميتافيزيقي وهي نظريّة في المنطق والفلسفة، وكثيرا ما تتمّ المقارنة بين نظريّة الفضاءات الذّهنيّة ونظريّة العوالم الممكنة إلاّ أنّه يتعيّن القول إنّ هاتين النّظريتين تكشفان رغم ما بينهما من تشابه في الظّاهر عن فوارق عديدة لا سيّما في ما يتعلّق بمسألة تحليل الإحالة فإذا كانت الإحالة... تتضمّن مظاهر ثلاثة هي: المظهر اللّسانيّ والمظهر التّداوليّ والمظهر الميتافيزيقي؛ فإنّه يمكن أن نميّز بطريقة بسيطة ولكنّها واضحة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة من نظرية العوالم

الممكنة قائلين إنّ الأولى تعنى بمظهر الإحالة التّداوليّ في حين تعنى الثّانيّة بمظهرها الميتافيزيقي ولئن كانت نظريّة العوالم الممكنة في واقع الأمر نظريّة في المنطق الفلسفي... فإنّ نظريّة الفضاءات الذّهنيّة نظريّة نفسيّة بالمعنى الّذي يضبطه علم النّفس العرفاني؛ حيث يهتمّ علم النّفس بنشاط العمليّات الذّهنيّة بدلا من دراسة المشاعر أو الاضطرابات العقليّة وهكذا فكلاهما؛ أي نظريّة الفضاءات الذّهنيّة ونظريّة العوالم الممكنة تتناولان من الإحالة؛ من حيث المبدأ الجانب غير اللّساني كلّه؛ أي جانبها التّداوليّ وجانبها الميتافيزيقي."[35] ويكمن الاختلاف الجوهري بين نظريّة العوالم الممكنة ونظريّة الأفضيّة الذّهنيّة أساسا، من خلال مبدأ المسار الّذي تسير كلّ واحدة منها فيه، فنظريّة العوالم الممكنة مسارها الميتافيزيقي يختلف عن مسار علم النّفس العرفاني الّذي تسير عليه نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة، وإن كان توافقهما من حيث المبدأ في الاتجاه غير اللّساني كلّه.

2-1-2-نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة: نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة هي نظريّة نفسيّة تداوليّة عرفانيّة تعنى بالظواهر اللّسانيّة في المقاربة التّداوليّةبل تهتمّ بنشاط العمليّات الذّهنيّة بشكل أساسي فهي تستمد من علم النّفس الإجراءات الضروريّة بمظهر الإحالة التّداوليّة، وخاصّة ما يهتم به علم النّفس العرفاني من نشاط العمليات الذّهنيّة "فهي نظريّة نفسيّة عرفانيّة للساني الفرنسي جيل فوكونياي، وهي نظريّة تنتمي إلى الأنساق اللّسانيّة المفتوحة على المخاطب والمقام ويفسّر فوكونياي وفق هذه النّظريّة العلاقة بين بعض الظواهر اللّغويّة والعمليّات الذّهنيّة الّتي تتيح تفسير كيفيّة اشتغال تلك الظواهر داخل الأبنيّة اللّغويّة الّتي تحتويها من قبيل ظواهر الإحالة والدّلالة والمطابقة النّحويّة وبعض حالات الإضمار.."[36] وتتمثّل نظريّة الفضاءات الذّهنيّة وفقا لمبتكرها (فوكونياي) (1984) في اعتبار اللّغة واستعمالها بناءً ذهنيامجردا لفضاءات وعناصر ولأدوار وعلاقات بين فضاءات وقوام التّواصل حسب وجهة النّظر نفسها يتمثّل في بناء فضاءات متشابهة أو متماثلة، وغرض نظريّة الفضاءات الذّهنيّة دراسة كيفيّة أو كيفيّات بناء الفضاءات والعلاقات بين الفضاءات... ومنتهاها ما يعنى به هو العلاقة بين الكلمات والبناءات الذّهنيّة constructions mentalesالّتي ينشئها المتكلّم والمخاطَب."[37] وقد أسس جيل فوكونياي نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة منطلقا من أفكار (نونبرغ) لكن سرعان ما تجاوز أطروحاتها الفلسفيّة الميتافيزيقيّة "فإنّ نظريّة الفضاءات الذّهنيّة نظريّة متولّدة عن مفهوم **الوظيفة الإحاليّة** ومستندة إليه وهو المفهوم الّذي سبق للساني الأمريكي (نونبرغ) أنّ حلّله والوظيفة الإحاليّة هي الوظيفة الّتي تسمح بإقامة

علاقات بين أشياء مختلفة سواء أكانت هذه العلاقات مندرجة في علم النّفس أم في الثّقافة أم في التّداوليّة... أمّا بالنسبة إلى فوكونياي الّذي تبنى مفهوما مُغيّرا اسمه إلى **الوظيفة التّداوليّة** فإنّ الوظيفة التّداوليّة تسمح بالمرور من فضاء إلى آخر والعمليّة الّتي يتمّ من خلالها المرور من فضاء إلى فضاء آخر هي عمليّة التّعيين."[38]فإنّ نظريّة **الوظيفة التّداوليّة** عند فوكونياي مستمدة من نظريّة **الوظيفة الإحاليّة** عند الأمريكي اللّساني نونبرغ، وقد طوّر فوكونياي هذه النّظريّة من حقول معرفيّة عامّة إلى حقل اللّغة وبصفة خاصّة في حقل التّداوليّة العرفانيّة إلى ما عرف باسم**الوظيفة التّداوليّة** الّتي تسمح بالمرور من فضاء ذهني إلى فضاء ذهني آخر عن طريق المزج بين الفضاءين "فإنّ بناء الفضاءات الذّهنيّة وعلاقاتها مرتبط شديد الارتباط باللّغة فبعض التّعابير اللّغويّة تقيم بالفعل فضاءات ذهنيّة أو تُعيّن فضاءات موجودة، وهي تسمّى **العناصر البانية للفضاء**، ويبنى الفضاء دوما داخل فضاء آخر يُطلق عليه اسم **الفضاء القرين** وعلاقة التضمّنinclusionهذه إمّا أن يدلّ عليها التّضمينenchâssementالتّركيبيّ للعناصر البانيّة للفضاء وإمّا أن يستدلّ عليها تداوليّا، وهكذا تُرتِّبُ الفضاءات جزئيا من خلال علاقة التّضمّن الّتي ليس لها، كما سيُلاحظُ؛ أي تأثير على العناصر: فالحقّ أنّ الفضاءات الذّهنيّة متمايزة كلّيّا بعضها من بعض في ما يتعلّق بعناصرها، والعلاقة التّداوليّة بين فضاء ما وفضائه القرين علاقة تُنشِئُها الرّوابط التّداوليّة بين قَوَادح الفضاءات–القرناء وأهداف الفضاءات–الأبناء."[39]ويسمّى الفضاء الأوّل القادح والفضاء الثّاني الهدف وتربط بينهما الوظيفة التّداوليّة، وتمثلها تلك الروابط التّداوليّة بين الفضاء القادح والفضاء الهدف؛وبهذا تتشكل مجموعة من المفاهيم المتمازجة في الفضاءات الذّهنيّة، وقد عرفت باسم "نظريّة التكامل المفاهيمي المعروفة في العلوم الإدراكيّة باسم نظريّة المزج"[40]حيث تتركّب الأبنيّة اللّغويّة لتشكل مزجا مفهوميا ومعان جديدة متولّدة من الأبنيّة الذّهنيّة فقد يتولد عن الفضاء الواحد فضاءين ومن الفضاء الثالث يتولد فضاءين آخرين وتحكم هذه الأفضيّة عناصر ووظائف وروابط تداوليّة عرفانيّة.

وقد اعتبر بعض الباحثين نظريّة الأفضيّة من النّظريّات الأساسيّة في اللّسانيّات العرفانيّة إذ تمّت مقاربات نصوص تراثيّة وخطابات سياسيّة في ضوء نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة، واتضح من خلالها مقاربة اللّغة في الاستعمالاتالحرفيّة وفي الاستعمالاتغير الحرفيّة "فنظريّة الفضاءات الذّهنيّة Mental spacestheory هي نظريّة نسقيّة عرفانيّة لصاحبها جيل فوكونياي Fauconnier

.Gتنخرط ضمن النّظريّات والمناويل الّتي تُعنى بتفسير العلاقة بين دلالة الأبنيّة اللّغويّة المنجزة والآليّات الذّهنيّة الّتي تنتج تلك الدّلالة وتتأوّلها في إطار النّشاط اللّغويّ الخطابيّنحن نفترض في انتظار اثبات صحة ذلك، أنّ اعتمادنا بعض منطلقات هذه النّظريّة يقدّم الكثير من الحلول الّتي تسمح بتأويل بعض الأبنيّة اللّغويّة الّتي لا يمكن فهمها وتفسير كيفيّة اشتغالها باعتماد أدوات التّحليل اللّسانيّ الشّكليّ المحض."[41] وتسعى نظريّة الفضاءات الذّهنيّة إلى دراسة العمليّات الذّهنيّة الاستدلاليّة مع الأبنيّة اللّغويّة المنجزة الّتي تتحكّم في إنتاج الخطاب لدى المتكلّم، وتفسير محتواه لدى السّامع، والّتي تحدّد مرجعياته في النصّ، وأثناء الحديث عن نظريّة الفضاءات الذّهنيّة والمستوى المعرفيّ عند جيل فوكونياي يجب الحديث عمّا "تمدنا به الفضاءات الذّهنيّة من الأدوات الّتي يجب أن تتوافر في أي نموذج معرفي دون المرور بالتحديدات ذات المنحى الموضوعيّ، ومن الوقائع الّتي يسوقها فوكونياي في تبرير ورود نموذج الفضاءات الذّهنيّة ذلك الرصد الموحّد الّذي قدّمه للكنايّة والاقتضاء والاستغلاق الإحالي اعتمادا على الفضاءات الذّهنيّة وعلى بعض الروابط بين هذه الفضاءات وبعض الاستراتيجيّات المعرفيّة."[42] وتتلخّص نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة في الاستعمال اللّغويّ الحرفي والاستعمالاتالعاديّة، وأبنيّتها اللّغويّة في اللّغة أبنيّة عرفانيّة وقد أشار فوكونياي إلى الأدوات اللّسانيّة الّتي تساهم في تحديد الأفضيّة الذّهنيّة، وكما حدّد في هذه النّظريّة العناصر البانيّة للفضاء.

3-الفضاءات الذّهنيّة والوظيفة التّداوليّة: تقترح نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة ومن خلال تحليلها للعمليّات الذّهنيّة والأبنية اللّغويّة مرورا بالتكامل المفهومي بين الفضاءات الذّهنيّة والعمليّات الذّهنيّة لمنتج الخطاب ومتلقّي الخطاب "وهذا العالم المبني في الأذهان عبر عنه فوكونياي بمفهوم الفضاء الذّهنيّ Mental space وقد اعتبر أنّ المتكلّم وهو ينتج البنيّة اللّغويّة سواء كانت جملة أو نصا فإنّه ينقل مخاطبه بين فضاءات ذهنيّة مترابطة نحوياً ومنطقيا تيسّرُ لذلك المخاطب فهم تلك البنيّة والاهتداء إلى الدّلالة المقصودة."[43]وقد تتحدّد الأفضيّة الذّهنيّة من خلال شبكة التكامل المفهومي للفضاءات فيكون الفضاء الذّهني الأوّل مؤسسا لفضاء ذهنيّ ثان ومن الفضاء الذّهني الثّاني إلى فضاءين آخرين، وممّا يؤسس لهذه الفضاءات هي تلك العناصر اللّغويّة البانيّة للفضاء كالتعابير الّتي تبنى على الاعتقادات نحو: (في تصوّر...، وفقا لـ... ، يعتقدأنّ... إلخ، وتلك الّتي تعيّن التمثيلات والصوّر والقصص نحو: (على صورة كذا الشمسية...

على رسم كذا...، في الفلم...، في الروايّة، وينبغي أن نضيف إلى ذلك الفضاءات الافتراضيّة المبنية بواسطة أدوات الشرط نحو: (إن... ف...)، أو من خلال عبارات جهيّة نحو: (على الأرجح يمكن الافتراض أنّ... إلخ."[44] وهكذا تتأسس الفضاءات الذّهنيّة من خلال عناصر وأدوات لغويّة كأدوات الشرطوالاعتقادات الذّهنيّة أو من خلال عبارات جهيّة"وتنضوي أعمال فوكونيايفي تيّار يدحض مسلّمة منطقيّة يعتقد أصحابها أنّ **الدّلالة اللّغويّة** يمكن الإحاطة بها باعتماد أدوات من المنطق الشّكليّ؛ فهو يرى أنّها أدوات قاصرة في تفسير كثير من الظّواهر اللّغويّة ويسعى إلى إقامة بديل نظريّ لها يقوم على طاقة الذّهن البشريّ عوضا عن طاقة الحسابات الرّياضيّة الّتي يستعملّها المناطقة."[45] ومن المبادئ والأسس الّتي تقوم عليها نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة: **الروابط العرفانيّة:** يبدأ اشتغال نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة من حيث الروابط العرفانية عند جيل فوكونياي في معالجة الخطاب وتفسير المعاني المتعدّدة من خلال مفهوم **الوظائف التّداوليّة** مقترنة بما يعرف من الأبنيّة اللّغويّة والأبنيّة العرفانيّة الّتي تبنى عليها الخطابات ارتباطا وثيقا بالعميات الذّهنيّة.

3-1-الفضاءات الذّهنيّة: تمثل الفضاءات الذّهنيّة تمثيلات مفهوميّة ذهنيّة (معان ذهنيّة) لأبنية لغويّة متشابهة ومتماثلة، وتجمع بين المعاني والألفاظ والعمليات الذّهنيّة الّتي ينشئها المتكلّم والسّامع أثناء عمليّات التّواصل "والفضاء الذّهني جملة المعلومات المنظّمة المتعلّقة بالمعتقدات والأشياء... وتنشأ الأفضيّة الذّهنيّة نشوءا فوريا أثناء الكلام، وتتعدّد وتتناسل كلّ ذلك بوجه آن-قولي (فوري-آني) فالفضاء الذّهني بنية عرفانيّة تبنى فيها المجالات وتنتظم وتترابط بأنواع من الترابطات ما بين المجالات."[46]ويرتبط نشوء الأفضيّة بالعمليات الذّهنيّة في التّواصل حيث ينشأ فضاء ذهني أثناء التّواصل بين فردين أو بين الجماعة وقد تنشأ فضاءات ذهنيّة متعدّدة أثناء التّواصل بين الأفراد أو الفردين، وقد تكون هذه الأفضيّة متنوعة بحسب عمليات التّواصل وقد تتعدّد الفضاءات من الفضاء الأب أو الفضاء الابن "وقد ترتب على مواطن الاهتمام هذه ظهور مفهوم **الوظائف التّداوليّة**Fonctions pragmatiques بديلا عن الوظائف النّحويّة وظهور المعاني المتعدّدة والاحتماليّة Virtuels بديلا عن المعنى الأوحد، فالبنيّة اللّغويّة المنجزة الواحدة تحمل معنى أوّل وقد تنفتح على أكثر من معنى يقصده المتكلّم ويفهمه المخاطب اعتمادا على تلك المعرفة المشتركة بينهما بقواعد الإعراب وبقواعد بناء المعنى.

بنية منجزة ⟸ معنى أوّل ⟸ معنى ثاني أو ثالث... إلخ

(يُفهم على وجه الحقيقة) (يُفكّر فيه المتكلّم ويقصده)[47]وتفسّر نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة الّتي تعرف بأنّها نظريّة نفسيّة تداوليّة عرفانيّة تعدّد المعنى، أو إشارة إلى معان متعدّدة؛ حيث تحيل الفضاءات الذّهنيّة إلى معنى واحد أو إلى معان متعدّدة في فضاء ذهني واحد أو في فضاءات ذهنيّة متعدّدة.

3-2-الوظيفة التّداوليّة أو الوظائف التّداوليّة أو الدّالات التّداوليّة Pragmatic function(s):تختلف ترجمات المصطلح الغربي Pragmatic function(s)من الوظيفة التّداوليّة إلى الوظائف التّداوليّة إلى الدّالات التّداوليّة وهي عند فوكونياي مستمدة من الوظيفة الإحاليّة عند الأمريكي اللّساني نونبرغ، وقد طوّرها فوكونياي في إطار اللّغة؛ حيث تسمح بالمرور من فضاء إلى آخر، والعمليّة تتمّ عن طريق المزج المفهومي"ومن أمثلة الدّالّة التّداوليّة الرّابطة بين مجال وآخر أن يترابط المؤلّفون والكتب بواسطة دالّة تجمع المؤلف بكتابه أو أعماله، فيجري في هذا اسم المؤلّف أو صفاته-وهو القادح هنا-ليحيل على الكتاب-وهو الهدف، كما تربط نفس الدّالّة ما بين مجال الزّبائن ومجال البضاعة فتحيل البضاعة على الزّبون أو بين المالك وما يملك فيحيل الشّيء المملوك على صاحبه:

1. يشغل ابن خلدون رفّا كاملا في المكتبة.

وفي ضوء ذلك يقيم فوكونياي مبدأ عاما نصّه:

كلّ مفهوم يقتضي في تمثيله فضاءين ذهنيّين، يكون الواحد منهما أوّليّا والآخر تابعا له."[48]

وهذا ممّا يحيل إلى أنّ كلّ فضاء ذهنيّ يحيل إلى فضاء ذهني آخر مولد عنه، وهذا الفضاء الذّهني المولد يحيل إلى فضاءين ذهنيّين آخرين، وهذا متولّد من بناء المعنى في الذّهن من **مفهوم الوظائف التّداوليّة**Fonctions pragmatiques. وشرط ذلك التنقل من الفضاء الأوّل إلى الفضاءات الذّهنيّة الأخرى أن تكون مسترسلة مترابطة في المفهوم الذّهنيّ لها، فقد "تواصل هذا التوجّه نحو دراسة العمليّات الذّهنيّة الّتي تسبق حدث التّلفّظ وتوجّهه مع اللّسانيّين العرفانيّين جورج لايكوف Lackoff (G) ورونالد لانقاكر Langacker (R)وجيل فوكونياي Fauconnier (G) وغيرهم ومحصّل تصوّرهم للمعاني أنّ بناءها ذاتيّ؛ لأنّها من إنشاء المتكلّم وهي تكوينيّة قبل أن تكون تأويليّة؛ لأنّها تتكوّن في الأذهان، ثمّ تخرج إلى التّحقّق اللّسانيّ في صورة منجزة متنوّعة تكون معطاة للفهم والتأويل."[49]وأمّا أثر العمليّات الذّهنيّة في التّواصل فقد مثّل مبحثا إضافيا كبيرا في

التّداوليّة العرفانيّة خاصّة عندما اقتربت النّظريّات التّداوليّة من نظريّات علم النّفس العرفانيّ المعاصر وبدا من الضروري تفسير المعاني وتأويلها يستقر على مبادئ رئيسيّة عند المتكلّم ثمّ عند المؤوّل المتلقّي، وذلك بالقبض على الأبنيّة اللّغويّة أوّلا وبالقبض على الأبنيّة العرفانيّة ثانيًا.

الخاتمة: التّداوليّة العرفانيّة نظريّة جديدة تتجاوز أدوات التّحليل التّداوليّ الشكلي المعتادة **و**تهدف من خلال بعض منطلقات هذه النّظريّة إلى تقديم تصوّر جديد يساهم في تحديد وجهات النّظر حول دلالة الأبنيّة اللّغويّة المنجزة والآليّات الذّهنيّة،في اعتبار اللّغة واستعمالها بناءً ذهنيا لا يمكن فهمّها وتفسّيرها إلاّ باعتماد تأويل بعض الأبنيّة اللّغويّة الذّهنيّة الّتي تفرض الرجوع إلى عمليّاتهاالذّهنيّة المشتركة بين المتكلّم والمتلقّي.

-تسعى التّداوليّة العرفانيّة إلى تفسير ظواهر القصور الشكليّة في نظريّة أفعال الكلام ومحور الإشاريات ونظريّة الحجاج (التّداوليّة المندمجة)، ونظريّة الاستلزام الحواري عند غرايس... إلخ وتحاول صياغة مقارباتها على روافد علميّة من العلوم العرفانيّة.

-تُقدّم نظريّة الملاءمة/المناسبة للباحثين دان سبربر وديردر ولسن مقاربة تداوليّة عرفانيّة استمدت أفكارها من نظريّة بول غرايس Paul Grice الفلسفيّة وبصفة خاصّة من نظريّة الاستلزام التخاطبي-مبدأ الملاءمة-، لتعرف هذه النّظريّة تطوّرا عرفانيّا إلى العمليّات الذّهنيّة في التّواصل ثم إلى الاستدلالات التّأويليّة العرفانيّة.

-حظيت التّداوليّة العرفانيّة بالاستقلال النسبي عند انفتاحها على العلوم العرفانيّة بصفة عامّة وعلى علم النّفس العرفانيّ بصفة خاصّة؛ لأنّ نظريّة الملاءمة لدان سبربر وديردر ولسن استفادت مجموعة من الإجراءات المهمّة من نظريّة جيري فودور Fodor. J-عالم النّفس العرفانيّ-حول اشتغال الذّهن البشري كما استفادت من ازدهار مقاربات الذّكاء الاصطناعي بشكل مباشر.

-قدّمت نظريّة الأفضيّة الذّهنيّة باعتبارها مقاربة تداوليّة نفسيّة عرفانيّة أساسها العمليّات الذّهنيّة في التّواصل إجراءات تداوليّة عرفانيّة عن اشتغال عمليات التّواصل الذّهنيّ، فالتّواصل يتم عبر عمليات ذهنيّة قصدية تتمّ عبر الأبنيّة اللّغويّة، وكذلك عمليّات التأويل الذّهني أو الاستدلالات وهي عمليات ذهنيّة تتم عبر مراحل مختلفة من التأويلات الذّهنيّة؛ إذ تمثلّ كلّ عمليّات التّواصل الّتي تحكمها عمليات ذهنيّة عند المتكلّم-العمليّات الذّهنيّة الّتي تسبق حدث

التّلفّظ–وكذلك العمليات الذّهنيّة عند المتلقّي الّتي تُفسِّر عمليّات تأويل المعنى ومعنى المعنى المباشر وغير المباشر–العمليّات الّذهنيّة الّتي تفسّر معنى المعنى–.

هوامش:

[1]- آن ربول، وجاك موشلر، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، ط،،2 تونس 2010م، ص96.

[2]– هدبم عائشة، نظريّة الملاءمة نظريّة ثورية في التّواصل المقولات والامتدادات المفهومة، مجلة الخطاب، ع2 المجلد 13، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزّو، الجزائر، (د. ت)، ص76.

[3]– المنجي القلفاط، الاستعارة في المنظورين التّداوليّ والعرفانيّ، حوليات الجامعة التونسيّة، ع57، كلّيّة الآداب والفنون، جامعة منوبة، تونس، 2012م، ص311.

[4]– آن ربول، وجاك موشلر، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، ص429.

[5]– آن روبول، وجاك موشلر، التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدّين دغفوس، محمّد الشيباني المنظمة العربيّة للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2003م، ص28.

[6]– محي الدّين محسب، الإدراكيّات أبعاد إبستمولوجيّة وجهات تطبيقيّة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1438هـ–2017م ص114.

[7]– جواد ختام، التداوليّة أصولها واتّجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1437هـ–2016م، ص58–59.

[8]– آن روبول، جاك موشلر، التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، ص64–65.

[9]– محي الدّين محسب، الإدراكيّات أبعاد إبستمولوجيّة وجهات تطبيقيّة، ص114–122.

[10]– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006م ص15.

[11]– المرجع نفسه، ص18.

[12]– صليحة شتيح، التمثّلات الذّهنيّة في خطاب الحمقى والمغفّلين مقاربة تداوليّة معرفيّة، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزّو، 2016م، ص9.

[13]– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج، ص15.

[14]– طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب 2000م، ص28.

[15]– محي الدّين محسب، الإدراكيّات أبعاد إبستمولوجيّة وجهات تطبيقيّة، ص122.

[16]- عطية سليمان أحمد، التّداوليّة العصبيّة (التداوليّة الّتي لم نعرفها)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1 القاهرة، مصر، 2020م، ص74.

[17]- محي الدّين محسب، الإدراكيّات أبعاد إبستمولوجيّة وجهات تطبيقيّة، ص114.

[18]- آن روبول، جاك موشلر، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، ص43-46.

[19]- المرجع نفسه، ص69-70.

[20]- عفاف موقو، "دان سبربر وديردر ولسن (الإفادة)"، ضمن كتاب إطلالات على النّظريّات اللّسانيّة والدّلاليّة في النصف الثّاني من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ج2 ص585.

[21]- آن روبول، جاك موشلر، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، ص75.

[22]- ذهبية حمو الحاج، مدخل إلى التّداوليّة المعرفيّة، مجلة الكوفة، ع9، جامعة الكوفة، العراق، 2014م ص116

[23]- عائشة هدبم، ملامح معرفيّة في تفسير سورة الأعراف-نموذجا-، مجلّة الخطاب، ع14، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزّو، الجزائر، 2013م، ص161.

[24]- عميري زهرة، التكامل المعرفي من خلال تداخل آليات اللّغة البيانية والحديث النبوي الشريف، مجلّة الخطاب ع14، منشورات تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزّو، الجزائر، 2013م، ص81.

[25]- ذهبيّة حمو الحاج، مدخل إلى التّداوليّة المعرفيّة، ص151. وينظر: ذهبية حمو الحاج، الإبداع في التّداوليّة المعرفيّة، مجلّة فصول، المجلد 4/25 ع100، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، 2017م، 336-344.

[26]- آن روبول، جاك موشلر، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل،ص20.

[27]- المرجع نفسه، ص24.

[28]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج، ص55.

[29]- عفاف موقو، "دان سبربر وديردر ولسن (الإفادة)"، ج2، ص586.

[30]- جواد ختام، التداوليّة أصولها واتجاهاتها، ص62.

[31]- عفاف موقو، "دان سبربر وديردر ولسن (الإفادة)"، ج2، ص586.

[32]- صابر الحباشة، المنظوران العرفاني والتّداولي آفاق التهجين ، ضمن كتاب دراسات في اللّسانيّات العرفانيّة الذّهن واللّغة والواقع، مركز عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللّغة العربيّة، الرياض، المملكة العربية السعودية 1441هـ-2019م، ص150-149.

[33]- منصور الميغري، الفضاءات الذّهنيّة ضمن كتاب إطلالات على النّظريّات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّانيّ من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ج1، 2012م، ص387-388.

[34]– آن ربول، وجاك موشلر، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، ص155.

[35]– المرجع نفسه، ص161-162.

[36]– لطفي الذويبي، قدرة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة على تأويل الأبنيّة اللّغويّة، ص4.

[37]– آن ربول، وجاك موشلر، القاموس الموسوعي للتّداوليّة،ص162.

[38]– المرجع نفسه، ص162.

[39]– المرجع نفسه، ص163-164.

[40]– مارك تيرنر، الدراسة الإدراكيّة للفن واللّغة والأدب، تر: إبراهيم عامر، مجلة أنساق، ع1، المجلد1، كلّيّة الآداب والعلوم، جامعة قطر، 2017م، 293.

[41]– لطفي الذويبي، قدرة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة على تأويل الأبنيّة اللّغويّة، مجلّة العلامة، ع3، مخبر اللّسانيّات النصيّة وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016م، ص11.

[42]– ينظر: جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارات الّتي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، المغرب، 2009م ص5.

[43]– لطفي الذويبي، قدرة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة على تأويل الأبنيّة اللّغويّة، ص14

[44]– آن ربول، وجاك موشلر، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، ص272.

[45]– الأزهر الزنّاد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار محمّد علي تونس، 2009، ص197.

[46]- المرجع نفسه، ص206.

[47]– لطفي الذويبي، قدرة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة على تأويل الأبنيّة اللّغويّة، ص12-13.

[48]– الأزهر الزنّاد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، ص200.

[49]– لطفي الذويبي، قدرة نظريّة الفضاءات الذّهنيّة على تأويل الأبنيّة اللّغويّة، ص13.